

دار الشروق


شرقُ الشمس
غربُ القمر

الطبعة الأولى

١٩٩٢ م - ١٤١٣ هـ

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤
برقيا شروق - تلكس 93091 SHROK UN
بيروت ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣
برقيا داشروق - تلكس SHOROK 20175 LE

محمد الفيتوري



دار الشروق

الإهـــداء

إلى تلك التي ما فتئت تغرورق عيناها

.. كلما أطللنا معا على الماضي . .

محمد الفيتوري

المغرب ـ الرباط

10 ـ 12 ـ 1986


إشـــــارات

إشـــارات . . !

1

في غبـار الحرب الكـونيـة (1939 ــ 1945) تـلاشـى وهـــج كـل إيديولوجيات الطبقات العربية القديمة . وفي نكبة (1948) دقت نواقيس إفلاس النظم العـربية القائمة . وفي هزيمة (1967) تكـرس عجز الجيل العـربي الحاكم عـن قبول التحـدي وإمكانيـة المواجهة . وفي السبعينـات أمكن للخيـانة وحدها ، ولـروح الهزيمة أن تسود الساحـة ، وأن تشق لها طريقـا متعرجة عبر طـريق النضال المسدود . ومـع تتابُع حلقـات سلسلة النماذج أو المواقف المفـرغة تستفحـل ظواهـر عقمنا الفكـري والسياسي ، ويزداد الـواقع العـربي ضعفا وفسـاداً ، بانتظـار قدوم الثـورة الإجتماعية ، والشاعر العربي العظيم .

2

وأقول إنني لست ضد انتقال سـدّة الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان ، ولكن مشـاعري مع علي بن أبي طـالب . ومسألة العقـاب والثواب والجبر والإختيار ، والأقـانيم الثـلاثة والوحـدانية تَعْنيني مـن وجهة نظـر دينية ، ولكنني أرفض ممارسة الطقوس والأشكال الكهنوتية إلى ' الحد الذي تنمسخ فيه معالم الوعي والإرادة في شخصانية الإنسان .

إن كل ما هو ضد الإنسان لا يمكن أن يكون من أو مع الله .

وأقـول إن إسلام خلفـاء وسلاطين بنـي عثمان وجميع قبـاب جوامعهـم ورخـام أضرحتهم لا يجعلنـي أغـض الطرف لحظـة واحـدة عن الأسبـاب الحقيقية لظـروف التخلف التاريخية التـي لازال يعاني منها الإنسـان العربي المعاصر ـ مسيحيا كان أم مسلماً ـ والتي تتغلغـل بذورها المسمومة إلى تراب هذه المرحلـة ، ولعل زيارة السادات للقـدس المحتلة وانحناءه جَبِينِـه أمام كبريـاء الصهـاينة الغـاصِبين ، لم تقلقنـي أو تفـاجئنـي بقدر مـا أقلقـت وفاجأت الكثيرين ، باعتبار أن الزيارة والزائر مجرد حدث عارض في تاريخ النضال. وإن وجعي أكبر في رؤية العشرات مـن كتاب عصر عبد الناصر ومثقفيه وهـم يوظفـون أقلامهم وضمائرهـم بنفس اليقين والعفويـة في خدمة أهداف عصر السادات .

3

ليس هناك شعر حقيقي دون موقف اجتماعي ، إنها علاقة جدلية ذات مستويين أو وجهين يستحيل أن يكون أحدهما دون الآخر ، إن الشاعر أي شاعـر هو ابن بيئته ومجتمعـه الذي هو مزيـج من التفاعلات السيـاسية ، والاقتصادية ، والثقـافية وإذا كان هنالـك في تاريخ آداب الإنسانيـة كلها شعراء اتخذوا مواقف بالغة الفرديـة ، فلا شك أن مواقفهم تلك ، إنما هي حصيلة انطوائهم على أنفسهـم ، أو انتمائهـم الضيق للفئات ، أو القوى الاجتماعية التـي ينتمون إليهـا . . . أو ربما خضوعهم لمغـريات ومصـالح أنانيـة انحرفـت بهم عن أداء رسـالة الشعـر . . . وفي واقع الشعـر العربي المعاصر والقديم تتعدد النماذج وتتنوع الشخصيات وكل إبداع يتوقف على طبيعة الشاعر ونوعية طموحاتـه . . . يتوقف على أصالة موقفه ، وصدق انتمائه الاجتماعي الإنساني .

أما أن الظروف الاجتماعية تخلق الحدث الشعري المتمثل في ولادة الشاعر وفي صيرورتـه الشعريـة ، فـذلـك أمر كثير الحدوث ولكـن الشيء الأقـل حدوثاً هـو أن يستطيع الشاعر تفجير الحدث الاجتماعـي . . . بمعنى أن يكون أداة حقيقية وفعالة في إحـداث التغيير . . إلا أن ذلك كله وقف على أصالة الشاعر ، أقصد عمق ارتباطـه بالناس وقدرته الخارقة على أن يكون صوت مجتمعـه ، أن يكون النبي والرسـول . القابلة ، وحفار القبـور ـ كما يقول جوركي ـ في وقت واحد .

4

ـ لقد اختلفت الآن أساليب اقترابي مـن العمل الشعري عما كانت عليه بدايـاتي ، كنت منـذ قرابـة 25 عامـاً ، أجد نفسي متفجـراً بمعانـاة طامحاً لتجسيدها بغَضِّ النظر عن الكيفية التي تنصب فيها تلك المعاناة .

كان همي آنذاك أن أتخلـص من هذا العذاب ، بعض الـذين عاصروني قالوا منتقـدين : « كان يكتب شعـراً تقريريا لا عـلاقة له بالشعـر العر بي المعاصر» . وكانوا يعنون مجموعاتي الإفريقية ، وأذكر أنني ضحكت بحزن في داخلي . ولم أكن أدافع عن نفسي ، حين قلـت أنني أحاول أن أطهر نفْسي مما ورثته من عذابي لأنني أريد أن أخلص إلى الواقع كإنسان في العصر .

ـ تلك كانـت ركيزتي فيما قبل ، أما اليوم فإنني أكتـب بعد أن أكون قد خططت وأعددت قائمة نفسية بما أر يد أن أقوله ، إنني أكتب شعري حين أريـد أن أكتب لا أخضـع لما يسمونـه بالإلهام الشعـري ، أن لدي رصيـداً موروثاً على مستوى ' الإيقاع والفكر يمكنني من قول ما أقوله للآخرين ولا تبقى ' أمامي إلا الكيفية التي بها سأقول ، أي أنني أضع فكرة البذرة بكل وعي (سـواء كانـت سياسية أو اجتماعيـة) ثم انتظر بعـض الوقـت حتى تزدهر فيَّ كما هي في باطن الأرض ، لتبدأ تتشقق في داخلي وتشقني في نفس الوقـت ، ثـم تبرز شيئـاً فشيئاً حتـى تأخـذ شكلها الخارجـي الذي سـوف تواجه بـه الآخرين . أقصد حتى ' تلبـس جسدها الإيقاعـى الذي يفرض

ذاته عليها ، فأنا لا أختار إيقاعاتي إنما تختارني هي :

- إنني أختار أفكاري ولكني لا أستطيع اختيار موسيقاي وأنغامي ، ولعلي الآن أشير إلى إحدى حقائقي الشعرية لهذا فقيمتي الشعرية لا تتحدد في ضوء ما وصلت إليه مرحلة ما من مراحلي الشعرية .

- إنني مجموع مراحل من المعاناة الإبداعية والتجارب الفنية ، تكتسب كل مرحلة قيمتها بأن تضعها ضمن شروطها الزمانية والمكانية .

5

أنا أحد شعراء هذه المرحلة وإذا كانت ثمة من مآخذ أو اتهامات أو حتى إدانات يمكن أن توجه إلى شعراء الجيل الذي أنا منه ، فالحق أنني أحد أولئك المدانين ، إنني إنسان يتحرك راضيا أو مكرهاً ، ضمن دوائر هذا الخراب الهائل الذي تعيشه أمتنا العربية ، كنت أتصور منذ أكثر من ربع قرن ، وكنا ما نزال حينذاك ، نحمل باقات الأحلام داخل أجفاننا ، كنت أتصور أن من سوف يعيش تلك الرحلة إلى مسافات بعيدة منها ، سوف يكون من حظه ، أن يرى وجهاً آخر مضيئاً ، من وجوه هذا العالم، كنت أتصور أن وقتا سوف يجيء وسوف نكون نحن بعض بُنَاته ، ضمن من سوف ينعمون ببعض الإنتصارات والأيام الحلوة فيه ولكن

هانحن ذا ، حيث بدأنا وكأن لم نخط خطوة واحدة إلى ' الإمام . . . القيود في الأرجل والسلاسل في الشفاه . . . أقصد الحرية التي حلمنا بها ، (نحن الشعراء) لم تتجاوز طفولتها المضحكة .

محمد الفيتوري

ليس في الياسَـمينــة
غير البُكَاء

لملائكةٍ تتعانق خاشعةً في مراياي . .

ذائبةً في شموع التراتيل . .

مائدةٌ من بنفسج روحي

ولى أفق من طيور اللقاليق

ينصب أعراسه البربرية حولي

إذا دخل الليل في الليل . .

يلبسني في الدجى قمرا ميتا

ويغادرني غابة في نعاس الظهيرة

أعراسي الغابة الاستوائية . .

القمر الميت . .

الكائنات التي تتناسل أشباحها

تحت نافذتي . .

كلما اضطربتْ في الكهوف العميقة

أمواج منتصف الليل . . !

مونـولوج 2

ها قد أتى الوقت . .

يا موحش الذات في الذات . .

ها قد أتى الوقت . .

وحدك أنت ، وأشجارك البيض . .

مثل الشوارع موحشة وحدها . .

في شتاء المعاطف والقبعات

النبوات تصدأ في بقع الماء

والصور الجاهلية ، تنفخها الريح خلفك

والزمن الرثُّ منجذب بين قطبين

* * *

خذ باليقين . .

فإنك أنت الحجاب الذي حجب السر عنك

وتلك الشموسُ التي اشتعلتْ

في القباب الملونة

اشتعلتْ بكَ منك !

مونولوج 3

مِثْل أرملة العرس . .

أسدلتْ النحلةُ الذهبية أهدابها

وهوتْ مطراً ناعماً

في بكاء الغصون

* * *

ليس في الياسمينة غير البكاء

وفي بهو سيدة القلب نافورة

ومُغَنٍّ حزينْ

تُرى كيف تعبق زنبقتي

في بساتين هذا المساء الخريفي !

والكلمات التي ارتبكتْ خشيَة الله

كيف تلامس قُربَانها ؟

كان عشقي مثلي يضم جناحيه إثر الزيارة

لم أكتمل في عبادتها . .

ولهذا تلاشيت دون القبولْ

* * *

ـ إنكسر . . فانكسرت . .

ـ احترق . . تحترق أو تضيء . .

جاءني الصوت . .

ـ يكتمل الطقس ، حين تصير المحبةُ لؤلؤةً

في فم النار

قلت : ـ وبرهان عشقي ؟

قال : ـ احتراقك

قلت : ـ وعشقي ؟

قال ، وألقى بدهشته فوق وجهي ؟

ـ احتراقك في الشيء . . أدنى من الشيء

والعشق أن لا تحولْ . .

مـونولـوج 4

نَهَرٌ فاغتســل أيها المغتسِلْ

آيةُ العاشِق الفرد أَنْ يمتثلْ

ولقد يَصِلُ الماءَ أو لايصلْ

والمدى نجمةٌ في المدى ترتحلْ

فاسقهم منك في روحهم تشتعلْ

وامش تحت حوائطهم تكتملْ

الربــاط 1985

بَعضُ المـوت مَجـد الأرض

عِنْدَ انطباق القوس تستبدل روما وجهها المخطوفَ
روما المُدُن الوحشيَّةُ الملساءُ
ذاتُ المقعد الرمليِّ
لا أَرْوَعَ من مِكنَّسَيةٍ فِضِّـيَّةٍ
تنثر برقها على تداخلات الصيف والشتاء

* * *

ثَمَّـةَ بلياتشُو سجينٌ في الطباشير
ومقتولٌ يغطي رأسه الثلجي بالشمس . .
وفي التلة دُابٌّ الزمن القُطبِي
يستدفئ في معطفه المبتل
ما أقسى عيونَ الوطن المحتل
خَيْلٌ وصقور في الدهاليز
وأشباحُ طواحين على الأفق
هي الوحشةُ لا تدفئها الوحشةُ

من يمتد في صيرورة الآخر

ـــ مات الملك الســادس

قالت شهقة الراهبة العذراء

ـــ مات الملك الســادس

وانهارت على المذبــح

واحتجَّ الملوك الحائِطِئـُّونَ الذين انتظروا منذ سنين

شهروا أسيافهم فوق التوابيت . .

أضاءوا فلك التنبؤات . .

انهمرتْ أمطارهُم في طرقات المدن الرثَّـة

قال الملكُ الأصفر :

ـــ ها قد ذهب الحاملُ في الأرض صليب الذهب الأكبر

قال الملك الأســود :

ـــ إكليل من الورد ، وقبض الريح

قال الملك الأزرق :

ـــ بعضُ الموت ، مجْدُ الأرض

بعضُ المجد مـوتُ اللّه

قال الرجـل الأخـــرس :

ــ هذا الكرنفال البابويُّ الضخم ،

أوْلَى بملوكٍ في التصاوير ، وفي عصري

حيث الخاتم الأعظم في الإصبع ، والإصبعُ في الخاتم . .

أزهار بساتيني على أجســادهم

فوق الجياد السود

لا أجمل من أعناقهم فوق جياد العربات السود . .

واستلقى على ضحكته ، ثم أفاق الرجل الأخرس :

ــ مات الملكُ السادس

2

لازيتونة الرب ، ولا نرجسة الشيطان

هذا هو أنت !

انعكس الطائر والثعبان في روحك . .

هذا هو أنت !

رومـــا 1980

حَــريق في ردَاءِ الأمِيرة

إلى اليَاس أبو شبكة

يوم أعلنتُ آية عشقـي . .

أسميتُ في نجمة في المجرَّات زاويتي . . .

وانكسرتُ عليكْ

كما ا نكسرتْ زرقةُ البحر فوق جناح النهار

كما انفرطتْ فِضَّةُ الشمس في هضبات المدار

ولما تباركتُ في زينتي ذات يوم

تلاشيتُ في حجبي . .

وانتهيتُ إليـك

ومن أنا في العاشقين

إذا لم تكن أنت عشقي !

ومن أنا في الشعراء إذا لم تكن أنت شعري

* * *

يوم أعلنـت عشقـي

كانت عروش المماليك

منسوجةً في حرير الهوادج

والأُمراء السلاجيقُ

يفترشون ظهور الجياد

وآلهةُ الحرب تلبس أزياءها القانياتِ

وكانت تُحلِّق في مدن الشرق

أشباح ماضٍ عتيقُ

والأميرة بيروت تدخل مرآتها في رداء من البرق

كانت لبيروت حينئذ هالة امرأة

غسلت جسمها في حريق

وسألتك :

كيف ا ستراح الذي غاص في مقعد الرمل

والرمل يغزو تضاريس هذا المساء العميق

وسألتك :

كيف تسلَّقَتْ القدمُ الحجريَّة سقف السماء

وفي الأرض يقتتل المؤمنون على الله !

واللّـهُ كيف تحجَّـرَ أقنعَةً في صخور المضيق !

وسألتك ثانية

ثم مـاذا؟

وبرقوقُ[1] غادر منفاه تحت ستار الـظهيرة .

والخاصكيّـة[2] تنفخ أبواقها الذهبية

والقصر يبرق في أصبحِ القهرمانة

والسُّـدَّةُ الملكية محروسة بالحريم

وجلجلة أمطرت وطنا كان في مقلتيك

هو الشِّعْر . . يخلد فيك وتخلد فيه

ويخلد لبنان ، منسكبا في غيومك

أنت الذي حملت راحتاه الاناء المقدس

---

(1) برقوق مؤسس دولة المماليك الشراكسة . أعلن نفسه سلطانا سنة 1983 وتوفي سنة 1398 .

(2) الخاصكية فرقة مملوكية .

والنارُ في شفتيــه . . .

وباكــورةُ المهــرجــان . .

* * *

منسكباً مثلُ زيتونة نذرت نفســها للالـهْ

ثم في ذات يوم ، كثيرِ التجاعيد

مالــت على جذعهــا . .

واستقــرتْ على الجــذع

ثم ا ستحالت هــي الجــذع

ثم استحالتْ نــواه . .

* * *

وأذكــر أنك أرخــت :

لو أن تلك الصــقور المدلاة

عبر ثقوب المداخــلْ

لم تَــكُ عالقــةً هكــذا في ثقوب المداخلْ !

لو أن رهط الملائكة المنشدين

على خشبات الصنوبـرْ

لم تتجاوز حدود اليقين على خشبات الصنوبـرْ !

* * *

لو أن هذا الرداء الرسولي

لم يتحدر قليـلا

على الكتفين الرسوليتين

ولو أن بيروت لم تَسْقِ عشاقها من دم مرتين !

* * *

وأَرَّخْـتَ يا سيدى

حين تنفتق البـــذرة

الأرض تعـرفُ أبناءها

كلما ارتجفـوا راجعين

ولقد يستطيل عليها الغـزاة

ولكنها تَتَقَـيَّؤهُـمْ بعد حيـن !

* * *

عُـدْ إليها يعُـدْ وطــنٌ في غنائـك

أنت الذي قلـت ، ساعة قلـت : الرحيــل

إننــي ذاهب ، غير أنى أقول لكـم

بعض هذا الحضور غياب

وبعض الغيـاب حضور طويل !

* * *

وأقـول لكم

ــ وأنا محض روح تبوحْ ـ

لطف الله بالناس

أن الخطايا ـ وإن أنتنت ـ لا تفوحْ

وأقــول لكــم :

ــ نسيت هذه الأرض ، وقع محاريثكـم

أيها الزارعــون

فاستردوا محاريثكـــم

تستردوا القضيــة

واذكروا أنكم عرب العصر ، لا عرب الجاهليـة

بيروت خريف 1982

زيَارة صَاحِب البرَق

هذه العتبات التي ارتطمتْ شمسُها

في صـخور المدارات

كان اسمُها عتباتِ أبي . .

كان قوسـا ، تحـوّل نارا وزيتـونة

وتعـالوا إذن وانظروا كيـف ترتطم الموجـة . .

انكسـرتْ آيـة الله في نجمـة الطفل

وانكسـرتْ نجمـة الطفـل في آية الله

نجمتـه لعبـة الطفـل

لعبتـه نجمـة الله

كان نيـازك وحشيةً تتحدَّى السـماء

وكان طقوسـا شتـائيـة

لا تبـوح بسـر النحـول

وأزمنـةً رثة تترامـى وهنا وهنالك

فهي بلادي ، وليستْ بلادي

كان بـدءَ رحيــل الغيـــوم

وفيْض حـريق الهمــوم

وكما لم يشـأ . . عاد متشحا في الرياح القديمة

من وطـن فـي النجــوم

إلى وطــن في النجــوم

* * *

هــذه العتبـات رفوفٌ مقدســـة

تتداخل في يقظتي

وعرائس من حجر أحمـر

وأباريق مصبوغـــة

عتبات أبي . . وأنا عابـر ذات يـوم هنـا

أنا هذا الذي يتغشّاه طوفانـه الآن

فوق سطوح الرخـام الملـون

تلمسنـي فأصير هــواء

وتبصرنـي فأغيـــب

وتُثْلج في شفتيَّ عصور التلكؤ

ثمة سفن مدارية من تلكؤ ذاتي

في قنوات الرجال البنفسجِ

تعرج في الشمس آونة

أو تحلق في الموت آونة

وكمثل الشروخ العميقة في كبرياء المدينة

تمخر سفنى في كبرياء الرجال البنفسج

مثقلة بالمجاذيف

سفني تمخر في المدن . . الأرض

عبر صفوف الرجال المدانين في مجْدَ أيامهم

تتقاطع فيهم ولا تنتهي

حيث ينهمك الشفقيون في رقصة السمك الذهبي

المعلق في سلة السرطان

عتبات أبي . . وأنا

سفن حَاصَرَتْها جيوش الظلال

التي احتشدت في زوايا المكان

* * *

وتعـالـوا إذن وانظــروا . .

لاتجيئــوا كأفراس بحر الشمــال على شَـفَقٍ غائــم

لاتجيئـــوا مع الملك الخـــوف

واختبئـــوا في كـوابيسكـــم

إنكـــم تسـكنون كوابيـسكـــم

والذي تحلمـون به يتجســد فيكـم

وأنتم تدقــون أجراسـكـم . .

وتميلون صوب انحــدار الزمـان

بعضـكـم قدر يسبق الليـــــل

أو يسبق الضـــوء حيث مشـى

وتعالوا إذن وانظــــروا

* * *

لاتجيئوا مـع القمـر المتأرجـح

يغتالكـــــم في مقاعدكــم . .

ثم يـزلق فـوق بنفسجة اللون في العتمـة

القمـــر المتأرجـح يرصف أشجاره الطحلبيـة

حول عيون العصافيـر

كي لا ترى كيف تولد معجزة الكـون

* * *

من يقطف الورقـــات التي يبســت عن هياكلهـا !

* * *

حينما اخترتُ ناقوسي

اخترتُ صوتي من صـــدفِ البحـــر

* * *

من يحجب القمـر المتأرجـــح

أيتها الشهـوات التي انكفأتْ

فوق أجساد أمواتها

شبقا عاقرا

إنني أُمّةٌ حَصَدَتْ مَوتَها

وسأنبت كالطلح فوق حَنُوطِ دمى

وتعالوا إذن وانظروا

* * *

إنها عتبات أبي

وأنا صاحب البرق ـ منكسرا فوقها ـ

انظروا كيف أحرق أجنحتي وجهها

المستحمُّ بنور العذابات

حتى انكسرتُ ركوعاً على ركبتيَّ

وأسلمتُ في فرح عنقي

وتحجَّرْتُ مثل إلةً تحجر في حلمي

وأنا صاحب البرق !!

زليتن 1985

حِـوَاريّــة للفِرْعَـون وَأورشليم

كيف داهـم عينيك ، سيفُ الشتاء المرصـع . .

ثم تكسَّرَ فوق المدينـة مشتعـلاً

نصلـه نجمـة في التراب

وقبضته وردٌة بين عينيك

كيف تَعَانَقْتُمَـا أبداً . .

قمرُ الموت والافقُ المتصـدِّعُ بالمجـد والكبرياء ؟

* * *

ــ رداء العـذاب الجديد ، رداء العـذاب القديـم

يجيئون خضـر الجـوانح ، خلف مناقيرهـم

ويعـودون خضـر الجوانح خلـف مناقيرهـم

عابريـن . . ولم يعبـروا . .

والرمـالُ العشـوقُ تسـيل حنينا إلى سـاحـل البحـر

* * *

ـ كل مُغَنٍّ مـع الفجـر ينحـت تمثاله خلف سور السمـاء

والفُجَاءاتُ تستبقُ الحلـــم

ـ من ذا الذي يطـرق الآن بـاب السـكوت عليك

وأنـت الذي لوَّحَتْهُ المسـافات

باب السـكـوت عليـك !

ـ أعصفي خارجا كيف شئـــت . .

غـداً تشـــرب الأرض طوفانـها

والضحيةُ تدفـــن قاتلهـــا

إنهـم يفقأون عيـــون النبيين

عبر شـوارع أم المدائـن مصـر

اغتسـلتُ بكل مياه البحـــار

من الإثـــم ، لم أغتســـل

أو تغســلني النار ؟؟

من صلبـــوا الله في القـــدس

عادوا إلى صلبه اليوم في سـاحة الأزهر الفاطمـي

حصـادٌ طويلٌ من الثمـر المر يا أورشليـــم
وتمشين مختالةَ الخطو فـوق التراب المقـدس
والخائـن العربي يُخَبِّئُ رعشتـه في ثيـابـك

* * *

يوم شهـــدتُ الفجيعـــةَ ، عانقـتُ صـمتي
ثم شــهدتك حاملةً كأسـك الذهبيـــة
مملوءة من دمـــى
فتشهَّيْتُ أُغْنِيَـة قبـــل مـوتي
يـا أورشـليـــــم
وها أنـــت ذا تضعين الـزهـور على رأس فرعـــون
كـم زهــرة ســوف تصفَرُّ مــن بعـــد
كم شمعة ســوف تغرق في الحـــزن
يا أورشليــــــم
وكـم مــرة تطلع الشمـــس

ناسيـــة . . ربمـــا

فالتماثيل ميتة ، والتوابيـت فاقدةُ الذاكــرة

والخيانـةُ فـرعــونٌ . . لا شـعبي المتحــدِّي هنــاك

ولا ذلك البطلُ المتـدثر بالصمـــت

في ظلمــة القاهـرة !!

بيروت 1980

تنـويعَـــات في التبــغ والبرتقـــال

تقطفين السكــون ، وتحتجبين . .

أُمــرِّغُ عينــيَّ فيــك

تفــرِّين عصفــورة من دمــي

لي ســؤالُ المحبين ، تحـت سماء التمزق وحـدي

ولأنـك أنــت فلسطيــن

يا امـرأة مثل موج الظهيرة

في كبريـاء الظهيرة

سبَّحْــتُ باسمــك

يا امرأةً تلد الأمهــات

وتولد في الأمهــات

ويسقــط في عشقــها الشهـــداء

وتطلــع في شجَــنِ الشهـــداء

وتركـض في طرقــات المدائــن

طفــلا . . وسنبلــةً

وصباحــاً يسيِّجُهُ المــاء

سبَّحْــتُ باسمـــك

«ويحكون أنه قد جاء في كتاب الجنوب المقدس . . وجاء في تجاعيد قهره القديـم . . أن شتلة التبـغ كانت عـاملة مـن الجنوب في السـابعة عشرة ، تدعى وردة بطرس إبراهيم ، خضبها عناد الفقر بدم الشهادة

تحت أحذية عسـكر السلطان في بلدة تدعى الغازية . . في وقت كانت فلسطين ــ تتلوى تحت الجـرح ــ داخلة في ابتداء النزيـف . عنيـت عام 1947 . وجـاء أن شتلـة التبـغ مالـت بـاتجاه فلسطين . وهكـذا سقـط حسـن الحايك ، وفاطمة الخواجة ، بين تلاوين جـوع الجنوب . .

لكن حسـن العطار ، الذى سقـط قتيـلا بدوره أمام معمـل غندور في الشيـاح ، كان أيضـا شتلة تبـغ ، يبسـت في عشق فلسطيـن (*)» .

* القصيدة مهداة إلى كاتياسرور .

ويحكون عـن فرح في قرارة عينيك . .

في رجفـة الشفتين ، المبللتين

برائحة التبغ والبرتقال

مقدَّسَـــةٌ أنـت

يصلبك الصالبـون هنـــاك

وتمشين أبهى من الحــلم

في شجر التبغ والبرتقـــال

انهضي من رفاتـك عـذراء

تلـوى ضفيرتها الريـــح

يا وردة المستحيل الجنـوبي

لاشيء عبر المـدى . . لا صـدى

شتلة التبـغ ، ما فتئـت في الجنـوب

معانقـة جرحـهـا

والرصاصة مُرْتَـدَّةٌ عـن جبينـك يا يوسف

انهض ــ لقـد عبقـت ثورة الشهـداء

ويا فاطمـــة

إنها الذروة القاتمـــة

يا عروس انهضـــي

إن أقنعةً تتســاقط في العتمـــة الآن

أقنعةٌ تتســاقط في العتمة الآن !

* * *

هولاكــو يسبي فقــراء البصـــرة

يُشْعِلُ في سعف النخل النيران

والبصرة تنشر في القلب فجائعها

وتكدس خلف مآقيها الأحـــزان

* * *

البصــرة في كل مكـــان

البصــرة في كل مكـــان

الكـل غـريق في دمهــا

لا أحــد بريء من دمهــا

* * *

حِبْـرٌ يهــرق

وفـــم يغلـــق

ورؤوس فـي الغابــة تحــرق

* * *

سبحـت باسمـك ، لابسةً تـاج عصـــرك

تعبــر فيـك الفصــول

ويخفـت في شفتيك أنينُ المســاكين

والموت مرتجفـاً يتلقــاك

عريــان في النهــر . .

أو ضـائعـا في ضباب المدينـة

مرتجفـاً يتلقـاك . .

منحنيـا . . غاسلا راحـة الله

فـي صبـح وجهـك

أنـت التي تقف الآن ، مكتظةً بالولادة

يغسـلها الشـوق والـدم

سبحـت باسمـك

سبحـت باسمـك

سبحـت باسمـك

بيروت 1980

القيَـــامـــة

لِتُعانِقْ نُبوءَتَها هذه الرُّوحُ . .
وَلْتنتصِبْ أفقاً مشمساً ، خيمةُ الطيِّبِ والخبز . .
وَلْتستحِلْ فوهاتُ البنادق
في كف حاملها ، نهرا أبيضا
يتدفق عبر الحقول
وليظل اكتمالُ اكتمالِكَ فوق مدار الفصول
أيُّها البشريُّ ، الآله ، الرسول
القرابين ، والشوق منَّا
ومنكِ الرضى والبِشاره
صحراءٌ نحاسية ، نحن لولاك . .
أزمنةٌ من حجاره

— ٦ —

من جحيم الطقوس ، ومن خزف الكلمات
ومن دوران الفصول

سـقوف معابدنـــا

وطعـــام موائدنـــا

أبداً ننحـني ضــارعين ، عــلى بقــع الـدم . .

تمتـد فـوق ســـواعدنا

وحريـــر وسائدنـــا

تتداخـل فينـا الهزائـــم ، هاربةً مــن عيـون

الذى ســوف يأتـــي

ونُغَطِّـــي الخطايا ، فتفضحها أعينُ الأمهـــات

— 2 —

مبــاركةٌ خطواتـك . .

يا مــن ستأتي على هذه الأرض ، مخترقا جبل السر

هالتك القدسية حــولك

مجد الســموات حولــك

تأتـي كمـا جئـت من قبــل

تغســـل عنـا الجريـمـة والعقــــم

هـا أنــت ذا تتلمَّسُ موتاك . .

تنفض أجســـادهُم من تراب السنين

تُبَاركُ أيامهم . . تستدير مهيب الكآبـة . .

قلبــك لاينبــت الحقــد

مجــدك لايرثُ المـوت

وجهـــك لايلبسُ الكبريـــاء

ــ 3 ــ

يسـألونـك . . ؟

ــ كلُّ مياه المحيطـات . . كل الســحاب

الذي يعبر الأفـق ، منحدرا

في مــدى الأفـق

كـل خوابـي العصـور العتيقــة . .

لاتطفـئ العطش المتجســد في القلـب . .

. . تطفـئة دمعــة ، تتألــق عــارية الطهــر . .

في ردهــة الحـــب

ـ 4 ـ

ــ لن تجـدوني . .

كما تجـدون أســاطير من مثّـلوُنِي

نقوشـاً على حجـر

أو تصــاويَر مبهمةً في كتـاب قديـمْ

أنا في الكائنـات ، وفيكـــم أُقيمْ . .

ـ 5 ـ

ــ يسـألونك . . ؟

ــ كانـــت سياط الخيـانة ، تجلد أرواحهم . .

وتحاصرهم

كنت أرحـــم آلامهم ، وأنا مُغْرِقٌ في ســكوني

ولهذا غفرت خطيئتهم

ورثيتُ لمــن قتلوني !

ــ 6 ــ

ــ يســألونك . . ؟

ــ هــذا اعترافك أنــت . .

الشهـــادة في فمـك الملكيِّ

وإذا نارك اشتعلتْ في يديَّ . .

فالذي اختارني ليس أنت . .

ولكنه « أنا » يقســـو علي . . !

— 7 —

ـ فوجئتْ أورشليم . .

طار طائرُها عالياً . . وتخطَّى النجوم . .

وتفاجأ ثانية

بالسقوط العظيم !

— 8 —

ـ يسألونك . . ؟

ـ مَنْ لَمْ يكُنْ خائني هذه الليلة القمرية

فليأتِني تاركاً قوسه ، وكنانته

وحسامه

سوف أبعثه سيدا

أنا مجد القيامة !

— 9 —

أيها البشـر الآلهي

الذي قهر الحقـد ، والموت ، والكـبرياء

ابتســم للذين انتهـوا فيـك

وابتــدأوا فيــك

قل كلمتـك . . كن رجاء لهم . .

وأجـب سائليـك . .

أنت يامـن وهبـت دمـك . .

خَمْرةً ، وخلاصـا لأرواحهـم

وبكيت على قاتليـك !!

باريس 1979

لا .. لَيــس لبْــنَان

لا . . لا تقُلْ دخـلوا في الموتِ أو رحـلوا

هناك من أَمَرَ الأبطالَ فانتقلوا . .

هناك لبنانُ ، والأرضُ التي غضِبتْ

لوقع أقدام من خانوك ياجبلُ

هناك إرثك في الأرواح حيث سَرَتْ

أرواحُ من ملكوا الدنيا ومن شغلوا

هنالك القدسُ . . يا قدسَ النبوة ها

قد كان ما كان ، مما سطر الأزل

لكـن سكان برج الصخر تدرك أن البحر

آت . . وأن الموج متصل

سألت نفسي لما جئت مختلطا

أكاد أخلق في ذاتي وأرتجل

مَاضِيَّ مجد قديم النقش أحمله

على ذراعي ميتا ، حيث أرتحل

ودارتي قطعة من صخرة سقطت

من نجمةٍ لم تزل في الأفق تشتعل

وبي من الهم ، ما بالكون من عرب

ضاقت بهم صحراءُ التيهِ فاقتتلوا

تقاتل الجبلان : القهر والبشر السكون

بالقهر ، والدميتان : اليأس والأمل

أنا الشقي بهم . . لم يبق في دمهم

من عزة النفس إلا النفط والعلل

أنا الشقي بأحبابي ، وإن يبسوا

كمثل ما تيبس الأيامُ أو أفلوا

ففيم أزهو اغتراباً عنهم . . وأنا

كل الذين علوا في الأرض أو سفلوا

وفيم أستنهض الأموات معتذرا

مادام تاريخ أجدادي هو البطل

غفوتُ . . لم أغف : مثل النهر سابحة

أسماكه . . وهو في استغراقه ثمل

نأيتُ . . لم أنأ : كان الموت يلبسني

حياًّ . . ويلصق في عمري وينفصل

بكيتُ . . لم أبك : مرَّتْ غيمةٌ فسقت

غصناً من الورد يدنو ثم لا يصل

رأيتُ لم أر شيئا : كان ثمة في الآفاق

بغضٌ لوجه البغض يقتتل

صرختُ والدم في راحـات من شربوا

ولحم لبنان في أشداق من أكلوا

لمن إذن نصب الموتى سواعدهم

فوق الجحيم ، وشبوا فيه واكتهلوا

وفيم أطلق طفلٌ جسمه قمرا

من القذائف ، والتاريخ مُنْذهلُ

وغاصَ في وطن كالحلم تحرسه

عدالة الله فوق الأرض والمثل

لبنان . . لا ليس لبنان الذي صنعوا

بالأمس أو قسموه اليوم واحتفلوا

لا ليس لبنان عرش الطائفي إذا

استقوى . . وألعوبة الحُكَّامِ إن عدلوا

لا ليس لبنان تلك الملصقات على

الحيطان ، تنزو جراحات وتندمـل

وليس لبنان هذا الليل يغســل عينيه

. . بذبح ضحاياه . . ويكتحل . .

لبنان رؤيا نبوات مقدسة

تظل في الكون مثل الكون يكتمل

فلتستبق وحدة الأديان خالقها

إلى الوجود . . وتحصد زرعها الرسل

باريس 1984

ذهـــــــولُ

وحده المحمول في أسوارك الكبرى . .

مخيفا مثل أسرارك ياراهبـة البسـتان

لم يسألك هذا الشبح الماضي . . إلى أين ؟

اليواقيت . . الأعاجيبُ ، وسحر البحر

رملٌ في اليواقيت . . ورملٌ في عيون البحر

لو أبصرتْ الياقوتهُ الميتةُ ، حزن الضوء

في الوحل الذي يسطع في الضوء

ووجه العاشق المبحر في وحشتِهِ

والقلب مقتول الصبابات

وها نحن تهالكنا على حائطنا الثـالـث . .

والسابع . . والعـاشر

ها نحن ، ومازالت رؤوس المدن المقطوعة الخرساء

تساقط في جنازها الثالث ، والسـابع . .

والعـاشـر . . فينـا

وكـأنـا مـا بقينـا

* * *

إنه منتصف الخط العمودي . .

انتصاف الزمــن العاكــس . .

ها قد سكنت سيدة الإيقــاع في الإيقاع

والســاعة في الســـاعة

والقوس يغيب الآن ، في نرجســة القلب

وصيف في رداء أبيض يسبح صــوب النهر

يا صيف انفعالاتي . . امكثي

قلــــت : امكثــى

مائدة الزهر المسائي استحالــت جــوقة

مغرقــة في الصمــــت

والخالق يفنى راحلا في وجــع المخلــوق

والموت كما كنا اشتهيناه

يُغَنِّي أبدياً في حضور الموت !

بيروت خريف 1982

ذَاتَ مَسَــاءٍ .. ذات صَبَــاح

وردةٌ . . طيـفُ قِدِّيسَةٍ . .

سكبتْ رُوحَها في اتجاه السماء

وسحابُ إوزٍّ غريــق علـى الأفـق

يدفـع أعناقه المتعبــات

إلى نقطة في الدجى اللؤلؤي

وفي منحنى القوس بعضُ رســوم الشتاء

وآلهةٌ من غيـوم تشكِّل أجســادها

صوراً مفزعـات

وأوشحةً عنكبوتية النســج

يا رؤية الله في رؤيتــي

ما الذي جعل البحر يطفئ قنديله فجأة

ويغادر نوبته ، شاخصــاً في سقوف البكاء

— 2 —

لم تكُنْ غير قبضةِ رملٍ تســافر في البحر

كـان هـو البحـر

كان هـو النجمـة الأطلسية

والرمل ، والبحر

أغْرقَ في ذاته ، ذاته

وا نحنى داخلاً في زواياه

ذات مساء رأيناه

قال الذين رأوا شبحا في أزقة فاس العتيقة

منهمكاً في الغرابة :

كان كذئـب الجبال ، وحيدا . .

يصـــارع أفعـى علـى ظهـــره . . زاعقـــاً

ــ إنني حارسُ الغابة البشرية

والطير تأكل أرزاقها فوق مائدتي

ثم تفرخ فـيَّ ، وتأكلني . .

وأشاح ، كمن يتقيَّأُ فـوق عظام مدينته . .

ثـم أرغـــى وتـــاه

وأمطــرت النـار إثـر خطـــاه

— 3 —

مِثْلُ رأسٍ مجللة بالسـواد

تطلُّ معذبةً من تقوب المناجم

مثل رسول يقوم من الموت في الكتـب الأزلية

أصفر . . أسود . . أزرق

عيناه شمسان زنجيتان

مثبتتان على لوحه الغيب

قال الذين رأوا لحمه يتناثر ذات صباح

على الشاطـئ اللازوردي

كانتْ ألوفُ البنادق تبصق أحْشاءها فيه

وهو جميلٌ وقاتمْ

أميرٌ من البـرق ، والـرعـد قـادمْ

وحيـن تنـاوبه حـرس القبـــر ،

كان بوسـع الفضــاء

يسيل غناء ويرقص

ثم يسيل غنـاء ويرقص

حتـى اختفـى ، صـاعـداً خلـف رقصتـه

في غنـاء الجمـاجم

ـ 4 ـ

حيث تزرع رأسـك . .

لاينبغي لك أن تحصد الدهشـة

الرأس قمحة من يحطب الليـل

بعض الذين أحاطتك أشجـارهم

حطب الليل

* * *

كان الحضورُ الجميل احتمالا

وكان كمالُ الكمـال اختلالا

وجرَّدَني من سحابته ذات يـوم وقال :

احتـــجـب

فالتواصـــل غير الوصـــول

والتماثـــل بعض الـدنو الخجـول

الرباط 1985

ترَنميـــَة للحُــبّ والأرض

صلِّ من أجلها . .

وارتبِكْ لحظة في تصاوير سقف المدينة

إنك في مجد معشـوقـةٍ هـي تحـت سماء الألوهيـة

السيف ، والرأس ، والمعمدان

وهي ختم خوابى الرحيـق

التي عُتِّقَتْ من قديم الزمان

وهي بدءُ اغتراب المشاعـل

والحالمين على الأرض . .

معشوقة سكنت في شرايينها شمس لبنـان

واختـال في روحـها عطـر لبنـان

* * *

صـل من أجلـها

صـل إن طيـور المدينة تنفر أقفاصـها

وحصـاد البيادر كان حصـاد العـذاب

واكسر الراحتين على نقطـة من دم

عِلقَتْ بالرداء المقدس

في خجل واضطراب

إنها الروح تسترجعِ الآن ميراثها

الآن تنهض مطعونة في مقاتلها

صور الكائنات البريئـة

والضـائعـون خـلال الضبـاب

يجيئون عبر جسـور الضباب

* * *

شـدمـا ذبلـت زهـرة العمـر

في حين لم يحصد الحاصـدون من الحرب

إلا الخــراب

عبثا سقطتْ من أصابعهم هـذه الأرض

مـذ أغلق الشعـب من دونهم بابه

سقطتْ مثل زيتونة من أصـابعهـم

هـذه الأرض

والنخـل ظل يُمَشِّطُ أغصانه تائهـا

والنسيم الحريريُّ يرشـق وردتـه

في بلاط السـكوت

والذبيحـة مشـدودةٌ فـي موائدهـم

دم تلك الذبيحـة كان يقاتلهـم وحـده

كـان جيشا يحاصـر جلاد بيروت

منتقمـا . . ويقرر أن لا يمـوت

* * *

صـل من أجـل لبنـان

من أجـل كفين مصـلوبتين على خشـب الأرز

شاهقتين بأعـلى الجبـال

صــل من أجــل عينين زنبقتين

تحــجَّـرتا . . وتحـجـر فوقهما كبريــاء الجمــال

صــل للحزن ، يضفر تاج البراءة

فـوق جبــاه المحبين

صــل للجـرح في وطـن الجـرح

يكبر يومــا فيومــا . .

ويســطع مستصــرخا كل حين

بيروت 1984

أورَاق طـائِر الليْـــل

يكتب شيئا ، طـائر العاصفـة الشتـوي . .

في أوراق هـذا الليل . .

من توَّجَنِي يا ملك العتمـة

مملوكا على العتمـة

هل تبصـر هذا الأفق المشمس في عيني ؟؟

إني أتحدَّى عرشك المصبوغ بالمجد

ومن علَّقني ، في قفص الدمية

لا أملـك إلا خـوذة الريـش

ولا أحمـل إلا صـدف البحـر

ولا أمضغ إلا بعض ما أبقى الضحايا الخالدون

في فمـي . .

ومثلمـا أردتنـي . .

حلقـتُ في غير سمائـي

وتسـاقطتُ شهيد العصر

في غير ترابي ودمي !

— 2 —

من خبَّأ الرغبـة في الشـوق

أتدري ؟ أنت تدري

أن هذا الشـوق مأساتي

انعكاسـاتُ مراياك على وجهي . .

قوسُ الشجر الغارق في الأصفر

لون العشـب في العشـب

التماثيلُ التي تعبق بالذكـرى

ولا تملك إلا شهقـة الذكـرى

لماذا نملك الشيء قليلا

ثم لا نملك إلا جسـد الشيء ! !

وتـدرى أنـت أن الزمـن الميـت في الإنسـان

إنسـان يموت

زمـن الدهشـة ، والصحـو الضبابـيُّ يمـوت

زمـن يسـكـت فينا

ثم نمتـد على الأرض

ويمتـد على الأرض السـكوت

ـ 3 ـ

مرَّغَتْ منقارها أنثى العصافير

على الحائط حزنا .

ثم قالت ، للذي استغرق

في صبوته الكبرى

إذا لم تعـد الآن

فلـن أغفـر للموت

ولن أغفر للحـب . .

ولن أغفر للغفران

واختالـت ، وقالـت :

ـ ليكـن

وليسـكرَ القاتـل بالمـوت

فإني بـك سـكرى

خمرتي حبـك لا الخمـر

وأزهـــار الأُلُوهُيةِ تنمـــو فـي بسـاتيـن خيــالي

فأنـا منـك

وهـذا الأُفُـقُ الرائـع

فيــضٌ مـن جمـالي

ــ 4 ــ

الآن تبـدأ البـداية

الآن تنتهي النهـاية

مستلـب كأنمـا لـم تكـن النقطـة فـي النقطـةِ

في لؤلؤة العينين أنـت

مِن حيثما صفر البدايات

إلى صـفر النهايات

ذهـبت لم تذهــب

وَجئت لم تجـيء

بكيت مثلما ضحكـت

أضأت مثلمـا انطفأت

عشقـت بعـض الوقـت

كرهـت بعض الوقـت

ـ 5 ـ

تغتســل الثورة في الثورة حينـا

مثلمـا تغتسـل الأنهار في حـدائق المطـر

تستيقـظ الخالـدة العــذراء

في ردائها الأحمـر

بيضــاء الجناحين

يعـانق الحيـاة صـوتها

ويشعــل الجبـال ، والبحــار ، والشجــر

سيدتــي

بقدر ما ركضت في شوارع القهر الرمادية

مجنونا أغني بـك . .

لايســمعني إلا المجانين

ولاتعـرفني إلا عيــون الشهــداء

بقــدر مــا أنــت

اجعلي مجـدك في أرضــي . .

اســكني هياكل الطين

وأعشاب التوابيت

وأبواب بيوت الفقراء

1978

سُورَة الفقير

لك دمع العيون التي عانقتك بأحـداقها
في صباح العـذاب الجميل
يوم جئتَ من المستحيل
ناسجاً بيـديك حـريق الإرادة والمستحيـل
صـاعداً فضـة في الشـروق
سائلاً ذهبا في الأصيـل
غارسـاً بذرة الغـد ، في رحـم الأمـس
منصهرٍ الذات في الله . .
مقتلعاً مثـل عاصفـة أخريـات المسـوخ
المقيمة في الصـخر
يا وطني العـربي المُغَلَّفُ في كتب الرمل :
قلبـي أنا ليس قلبك هـذا العليـل

* * *

. . وَحلَّقْـتَ سهمـاً ودائـرةً :

ـ سـوف ينبثق العصـر من هذه الهضبـات

ويجرف دنيا توشحت القحط والقهر . .

لا أقـرأ الغيـــب . .

لكنها أبصـر الحلم عبر عيون بلادي . .

وإن أبطأت موجة الصيف . .

فالأرض مشمسة خلف تلك التلال

ولابد من زهر في الحقول البعيدة

لابد من قمر في الزمان البخيل

ومن لم يكـن زهرا

أو يكن قمـرا

فليقف جانبا

* * *

إن عـدلا علـى هـذه الأرض . .

ليس هـو العدل . ما بقـي السـوط يستنطق الناس

فليركل الميتون مقابرهم . . ولتقم آيـة العدل

هم صوروا الله فـوق سقوف معابدهم ، كيفما حلموا

إنمـا الله في النـاس . .

لا مثلمـــا زعـم العـاكفـون علـى الرمـل

— 3 —

دائراً في الدجى ، لم يزل حلم ذاك الفقير

الذي أمسـك الشمس في راحتيه قديما

وأفلتها حجرا . .

دَائِرا . .

— 4 —

كان في العتمة المستريحة ، فى سرر الكـون ،

ربٌّ عجوز ، يطير بزحافتين من الثلج

ثم توغل في التيه ، فابتلعته العصـور

وما فتئ الجنـد منذئذ

يَرْقُصُـونَ عـرايا الجسـوم على رقعـة الشطرنج . .

ـ 5 ـ

لماذا إذن ؟ وَلِمَنْ كل تلك الذبائح

سادرةً في مواسمها

ولماذا يجيء النبيون والشهداء ، كأن لم يجيئوا ؟

الزخارف تبني البيوت ، وتسكن سكانها . .

والطقوس مقـدسة . .

لست أحسـد ميتا على أنه لابس كفنا من حـرير

ولكنني أسأل الميتين . .

ـ وماذا لو امتلك السيف والعرش

غير الذي امتلك السيف والعرش

ـ 6 ـ

قال لها ، وهو يحفـر شاهدهُ في قبور المدينة

ميلي هبوطـا إلى الهـاوية

واستخفِّي ، فيا طالما نسج العنكبـوب

شباكـاً علـى حجـر الـزاويـة

ـ 7 ـ

يوم جئتَ تحسست الكائنـات جدائلها البيض . .

واغتسلت باليقين لأول مرة

وأطلت من الصحراء نجـوم ، لأول مـرة

طرابلس 1984

صَلَوات للوطَن

بعض ما سطر الدم المبذولُ

والجراحات والصراع الطويلُ

أنك الأفق ، حيثما اتسع الأفق . .

وأنت الجبين والأكليل

ويزول الذين تحجب ضوء العصر

خوذاتهم . . ولست تزول

ويخون الذي يخون . .

ويبقى عاليا وجهك الجميل الجليل

ويغنيك من يغني

ويجثو في زواياك مجده والأفول

أيها الكل . . والكمال . .

ومجد الله . .

والمعجزات . . والمستحيل

أترى عاشقيك

كيف يذيب الوجد أجسادهم

وكيف تحول

كيف يستيقظ الشهيد من الموت

كأن لم يمت . .

ويحيا القتيل

كيف تندى أرض . .

وَتَيْبَسُ أرض . .

ويضحّي جيل . .

ويولد جيل . .

هو ذا أنت . .

لا الطبول التي أمتصتك دقاتها . .

ولا التطبيل

لا بخور المصفّقين . .

ولا يأس المرابين فيك . .

والتدجيل

لا الصليبي قادما من جديد

فوق أسطوله . . ولا الأسطول

لا أغـاني المخنثين . .

ولا رؤيا يهوذا الأعمـى . .

ولا إزريـــل [1]

هو ذا أنـت . . أنت

هذا الذي يجترح الصمـت

سيفـه المسـلول

أنــت هـذا الذي يجـئ مـن الصحـراء ضـوء

حين الظـلام البديـل

عربيٌّ

أكفانه فـوق كتفيه شهـود

على اليقين عـدول

داخــلاً فـي عـلاقـة المـوت بالمـوت

كمـا تدخـل الفصـول الفصـول

---

(1) اسرائيل ، وهي لهجة عربية قديمة

غاضباً تسـطـع الرؤى ملء عينيه

ففـي كـل نظـرة قنديـل

* * *

ويموج السكون عصفا . .

ويسـرى في عيـون « المـارينز »

حلـم ثقيـل

لـم يكـن غيـر ظلـه ، وهـو يرتجـل الأسـوار . .

يعوَجُّ عامـدا ويميل

ـ لـم أبطـأت ؟ قالـت الأرض . .

ـ فَجِّـرْ . . كُـنْ كمـا لـم تكـن . .

فأنت الرسول

* * *

وتهاوت دعـائم . .

كُـنَّ من منذ قليل . .

هُنَّ الوجـودُ البديل

يومـهـا ازدانـت الأميـرة بيـروت بصـمت

وانســاب دمـع نبيل

وتمنـى لبنـان ، لو لم يبـدد إرثه

الطائفيُّ والمخبول

فالنبي الشهيـد طفل جنوبي

بآلام شعبه مجبول

والنبي الشهيد أغفى . .

وفي كلتا يديه

القرآن والإنجيل

* * *

يـومهـا غطـت النعـوشُ سمـاواتِ أميركـا

وغـام فيهـا الذهـول

فالذي ضمت النعوشُ

هـو المحتل في كبريائه والعميل

* * *

يومها قال قائـل

يا فلسطين قتلنا . .

والصـامدون قليل

غيـر أن الأطفـال تولـد فـي كـل صبـاح . .

وقهرنا مستحيل

دمشق 1983

بـــــَيروت

. . ومتى تحلق شمسك الخضراء يابيروت ؟!

كأس الله ، هل ستضيئ بين شفاه من سكروا

بكأس الله ثانية ؟

وأشواق الذين تعانقوا في الحلم ، عبر تماوج الألوان

يا بيروت . . في استشهادها . .

وحريق بواباتها الكبرى

لئن صار الهوى ذكرى

فيا لعذوبة الذكرى !

* * *

ويرحل في سحاب النار

عنقود من السنوات يرحل في سحاب النار . .

كان الفجر ، أصفر بارد العينين والشفتين . .

كانت شمس بيروت الحزينة ، نصف مرآة محطمة ،

تلوح على بقايا نصفها العلوي

أشبـاح الفجيعـة . .

وهي تغرق في مقاعدها الوثيرة

والذين هنـاك يختبئون تحـت جلودهم

ويخبئون مرارة الضحكات

يقتسمون ارث المـوت

في زمـن الولادة والدمـار

* * *

أو كان محتـوما عـذابك !

أن تغـوص حجـارة الكبـريـت فـي عينيـك

هـاتين المظللتين بالفـرح العميق . .

وأن تلف جناحك الذهبي

عاصفة السـقوط والاحتضـار !

* * *

أو كُلُّ هذا الساحل الملحي جرحك ؟

كل هذا الحائط الدموي موتك ؟

كُلُّ هاتيك الضحايا الساقطات من الجحيم . .

وأوجه القتلى المفرغة العيون . .

وذكريات الرعب والدم والغبار !

مجهولون عند الحاجز

* أنا محمد بطرس العربي من لبنان

ـ حسبك لا تزد حرفا

* وأعمل بائعا لليانصيب ، أبيع أوراق الحظوظ .

لمن يشاء . وربما بعت القليل ولم أجد إلا القليل .

ـ وأنت ؟

* نجار قديم . كان لي بالأمس حانوت وضاع

وقلت يا صيدا الوداع

هناك بيروت التي يحـكون عنها . .

وانحدرتُ ميمـمـا بيروت . .

لكـن المدينة أوصـدت أبوابها . .

بيروت قاسيةٌ على فقرائها . .

سأعود يا صيدا إليـك . .

فقد تعبت من الصراع .

ـ وأنت ما اسمـك ؟

* كنت أَمتهن الحـدادة . . ليس لي وطن

سوى لبنان .

وَاسمي منذ سمَّاني أبي غسـان . .

لم أك حاضرا إذ ذاك . .

ـ لا تقلـق . . فلن تحتاج بعد اليوم .

لاسم أو هـوية .

* هـل تريد هويتـي ؟

ـ لا فـرق ياغسـان . سـوف تمـوت مجهـول الهويـة

القنـاص يعترف للفريسـة

عيني وَرَأْسُكَ والزناد

أنا الذي تتشكل الأعمـار بين يديـه . . تنقص أو تزاد . .

أنا الذي يحييك أو يفنيـك . .

مهمـا كـنت . . أو مـن أنـت ؟

لا أُغْنيَ بغير المـوت

أنـت فريستي

وأنا هو الـرخ المحـلق في سموات الرمـاد

بعثت من عصري لكي ألقاك

هذا أنت تقترب . .

اقترب . . طفلا . . عجـوزا . . كاهنـا . .

إني أريدك تحـت منظاري . .

ورأسـك وردة حمراء ، تدعـونى لأشهد عرسـها . .

يا جثة الحي الذي سيكون منذ الآن جثة ميـت قـد كان . .

لا لن تفلتي

وأنا بريء منك يا من لست أعرفه . .

فلا تحقد علي

وأنت ترقص في دمائك

لست إلا قاتلا متعاقدا بالأجر . .

اقتلُ ، وهو يدفع ، ثم أقتل . .

غاسلاً كفي منك . .

ومن دماء القادم المجهول بعدك . .

والذي سيجيء حيث يسود مجد الموت . . مجد البندقية .

إني مجرد آلة خرساء . .

أما القاتل الفعلي ، فهو وراء شرفته . .

يراقبني

ويضحك . .

ثم يومئ للضحية !

الكلمـــات الأخـيرة

بيروت تشهـق بالقذائف والقنابل

بيروت تحـلم بالخـرائب والزلازل

فهنـاك مجـلود وجـلاد

ومقتـول وقـاتل

وبنـادق خانـت . .

وأخـرى عـن مواقعـها تقـاتل .

بيروت 1975

مَـن أحْـرَق قلبَ الفســـتقة

ما اسمها ؟ تلك التي تـرسـم عينـاها

عـلى نهر السمـوات

وشـاحـا قـرمزيا

وطيورا ذاهـلات

وقناديل سجينة !

ما اسمها ؟ تلك التي تذبح في ساحتها . .

الأطفال والموتى . .

التي تختال في زينتها

وهي حزينة ؟

ما اسمها ؟ تلك المدينـة

قلــت : بيروت . . ومدريد . .

ومـاذ قلـت ؟

نيرودا الذي يزدهر اللحظة في ماء الينابيع . .

ولوركا . . لم يزل مغتربا في حـب غرناطة . .

يستلهمها الثورة والشعر . .

وتستغرقه النشوة

حتى الاشتعال ! .

آه . . يا غرناطة الأشواق

غرناطة أبراج الجبال

درج الشمس رمادي

ومصقول . .

وناء مايزال

غير أن الوتر المشدود في دائرة الكـون . .

وفي قلب المغني

ليس خيطا . . إنه قلـب المغني . .

ولأَنَّ النـار في جبهته فهـو يغني

أبديًّا لك ياروح الجمـال

ولعيني مصطفى الكردي [1]

مغسـولا بنور الدم

---

(1) قتيل مجهـول في الحرب اللبنانية .

مجهولا من التاريخ . .

منسـيا . .

وملقىً في الـظـلال .

مصطفى الكردي . . لما مات

كانت مومياواتك يا بيروت . .

قد غادرت الماضي

عرايا خـارج العصر . .

وكان الله في مدريد قد مات (1)

وكان الموت يمشي سيدا

فوق عظام الجنرال . . !

---

(1) كان موت الديكتاتور فرانكو يملأ أعمدة الصحف ونشرات الأخبار .

وداع الرجل الميت

قمـر الأمـة . .

يا خارطة الدنيـا . .

وطاووس النضـال

شاحبا أدخل في شمسـك . .

في أعمدة البهو الرخـامي ضئيلا . . ونحيلا . .

رافعا قبعتي السوداء . .

ما أعظم بهو الموت . .

ما أجمل مولاي حزينا

وسجينا

وذليلا

يتمنى وهو لا يملك . .

يبكي مثل من يبكون

يرتاح كما يهوى ، ولايهوى

يرى تاج النهايات

على رأس البدايات

فينهار طويلا

ثم ينهار طويلا

ـ 2 ـ

وقع الطائر في أُحْبُولَةِ الصياد

صقرا ملكيا ، عاصف المخلب

عصفورا غريبا ، أخضر المنقار

ذئبا جائعا يبحث في الأدغال

عن أنثاه

يا مولاي

كم تشبه في موتك أنثى الذئب . !

كم تشبه سنجابا شتائيا جميلا

لم تعد تشبه أبطال الأساطير المخيفين

المثيرين القشعريرة في الأجيال

لاتشبه بعض الآلهـة !

* * *

واحتراما للذي كان هوالأمـة . .

أرخي هـذه القبعة السـوداء في صمت

وأسترجـع بعض الضحكـات التائهـة .

* * *

وهذه إجـابة السؤال .

يجلس بعد موته الجنرال

خجلان ، إلى مائدة الكـردي . .

والكـردي خجلان

إلى مائدة الجنرال . .

— 3 —

قط لم تسـمع به ؟!

أعرف يا مـولاي ، ان بطـلا منتصرا

مثلك . .

لايسـمع إلا صـوت بطشـه

ولايبصر إلا وجه عرشه

ووجه نعشه

ولا يعبد كائنا سواه !

الجـريمة والسـكوت

ومصطفى كان يبيع الفستق الأخضر

كان قلبه فستقة خضراء

كان فستقة !

تأرجحت عشـرين صيفا

ثم لما جاء صيف المطر الأسود

والمعاطف الحمراء

والحرائق المعلقة

تراكضت في طرقات الريح مثل ورقه

وابتسمت محترقة !

* * *

من قتل الكردي ؟

من أغرق في اللعنة بيروت ومدريد ؟

ومن أحرق قلب الفستقة !

تسأل في موتك يا مولاي . .

لا أجرؤ أن أشهد . .

لا أجرؤ أن أومئ نحو وجهك العظيم . .

رب المحرقة !!!

بيروت 1975

عَصْفورة الــدّم

كان ثمة كفٌّ رمـادية ،

تتدلَّى من السقف . .

حاملةً قمراً ميتا . .

وطيورٌ من النار ، تنقر لؤلؤة الليل . .

كان قلبي آجرَّةٌ من دم

ثقبوها . . فسالت نجوما مضرجة . .

عبر أقنية الليـل . .

أيتها اللانهائية البعـد . .

يا من تَظَلِّينَ مثل زهور السـموات

غارقة في دمـوعي طالعةً في يدي

أو هذي طقوسـك أنت ؟

يموت المحب على درج الشـوق

دون الصعود إليك

ويصبح أغنية أو صلاة

يتوهج في الموت . .

أو يتوحـد في العشق . .

أو تستطيل سراديب غربته . .

فهو في سجن غربته . . بطل أواله . .

* * *

وتداخلت في شجر الكلمات الحزينـــة بيني وبينك . .

كانت خيام المجوس . ونار معابدهم

تتعانق في طرقات المدينة . .

والعصر ربٌّ عجـوز . .

يُرَقِّـعُ أشـلاء تاريخه

ويبيـارقُ عاصفةٍ . .

والعيـون التي أطفأتها المهـانة

تحلـم بالنصر ، فـوق رمـاد مضاجعها . .

وتغازل من شـرفات المخـادع

جندرمةَ الطائفية ،

وهي تحاول أن تسجن الريح في صدف البحر . .

أن تحجب الأرض بالقبعات . .

وأن تذبـح الماء في النهر . .

والنهر أذرعَةُ الفقراء ، وميراث أجيالهم . .

وبنادقهم . . وأناشيد أطفالهم

وهو طين الحقول ، التي احتضنت

خصبها زمنا

وحديد المصانع

وهو هذا الدم العربي . .

الذي يتدفق عطشان

من فجـوات الجراح

إلى فجـوات الشـوارع

* * *

كم هي موحشــة هــذه الردهــة الزمنية . .

تصهل في جانبيها خيول البحــار التي احترقت

وتدور وُجُوه الكوابيس

كم هي موحشة هذه الأرض دونك . .

أحملها صخرة فوق ظهري

وَأعدو بها في مدارك كالطفل . .

ها أنت ذي تومئين . . وتنتظرين . .

وها أنذا أتعمَّدُ باسمك في كل ثانية

يقتلــوني ، وأولد . .

حيــث تضيء ذراع مقاتلة

فوق قنبلة

أو تطأطئ هامــة طاغية

تحــت خنجر ثائر . .

يسجنوني . .

وأنبت شمســا على حائط الســجن . .

أو يشنقوني . .

وأجعـل من حبل مشنقتي ، سلما نحو وجهـك . .

وجهك هذا النبي الفـدائي

هذا الإلّـه العظيم المهـاجر .

وتغصين بالصمت خائفة . .

فالطوائف تطبع أختامها في جلود القرابين . .

يا كل شعبي

الجريمة والعـــدل وجهـان . .

والشمس ترحـــل في البحر . .

لكننا سـوف نبني توابيتهم

ذات يـوم

وسنرسم فوق شواهدها . .

شارة الثورة العربية . .

والنصر . .

* * *

وتظلين خائفـة . .

فالضحايا تسير صفوفا إلى ساحة الذبح . .

يعلم كل الغـزاة الذين هـم الآن . .

مضطجعون هنـا

تحت أقدامنا

ويعلـم أحفادهـم

أن آخر ساعاتهم ـ

حين تكمـل عصفورة الدم

في هذه الأرض دورتها

حول دائرة الجـرح . .

بيروت 1975

خَـارج المـُـوت

كالفجر تولد ، مغسـول الضياء نقي

لا تدخل الموت ، في أرض ، ولا أفقِ

ولا تغيَّبُ عن جيل ، وإن بعُدَتْ

بك السنينُ ، وطالتْ رحلة الغسق

وبعض قدرك فينا . .

أن مجدك في الأرواح ينبت ، والسـاحات والطرق

وأن صوتك كان العصـر . .

ممتزجا بالعظم . . والفرح الطيني . .

والأرق

يا أمة ـــ لم تكن فردا . . ولا جسدا ـــ

إذا ارتوى الفرد ، من طغيانه ، وسقي

ولدت في وطنين : الدمـع والعـرق

وعشتَ في وطنين : القلـب والحدق

* * *

كالفجر . . كالمطر الآتي من الزمن . .
كالسيف في النار ، لم تضعف ، ولم تلن
عصفت باليأس . . كان اليأس عاصفة
فوق المدينة ، ذات المرقـد الخشن
لابد من نـجمةٍ ، في الليل ، تائهة
كم نجمة ، في جبين الليل ، لم تكن
أكل ميراث هذا الجيل ، ضاع سدى .
يا يأس . . أنت غريب الوجه ، عن وطني .
ويافجيعة . . روح الأرض واحدة
فليس ثمة من روحين ، في بدن
وإن يخن خائن . . أو ينتكس علم . .
فالشعب لم ينس قتلاه . . ولم يخن
أأمـة أعطت الدنيا حضارتها . .
يوما . . وكانت كتاب المجد حيث فني
تظل مطرقة موتا . . وفي يدها
إرادة إن تمس الموت يحتقن .

في القهر رائحة القضبان . .

قلت لهم . .

والعمر يقطر في قارورة الأبد

ثم أرتحلـت . .

ومن لم يمض مرتحلا . .

لم يأت قط .

ومن لم يأت ، لم يعد .

أكان يغمض عينيه عليك . .

فلم تبصره مختبئا في الحقد والحسد

لقد رأيناه

إلا من خيانته عريان .

يرفل في أثوابه الجدد

رأته مصر . .

فغطت وجهها بيد

كي لا تراه . .

ومست رأسها بيد

لا تمض أكثر

لن تبقى الغداة . .

وإن ظننت أنك باق في ضمير غد

وأعـول الرمل في سيناء . .

وارتعدت عينا فدائية مصرية الجسد

وكان يمشي . .

وكان الدرب منزلقا

والعار يهطل أمطارا . . ولم يكد .

* * *

ـ من أنت ؟

قالـت له القدس . .

التي سمعت خطاه بين خطى الأعـداء

تقترب

هذا التراب رجال

أحرقوا دمهـم نصرا سَجينًا عليه . .

قبلما ذهبوا

من أنت ؟ في مشية الأبطال . .

يا طللاً يمشي ، وفي دمه التاريخ ينتحب

من أنت ؟

تنهار في كفك أعمدةٌ من الجلال

ويبكي المجد والحسب

من أنت ؟ يا أنت . .

لا رب . . ولا قدر

ولا دمشق . . ولا مصر . . ولا العرب

مرغ جبينك أني شئت .

تنحسر المأساة يوما . .

ويكسو الساحة الغضب

* * *

لا . . .

لا . . .

1980

مَلَكٌ أوكتابَة

بيننا خائن يارفيق

أنا أو أنت . .

فلنقترع قبل بدء الطريق

* * *

ملك أو كتـابة !

* * *

تصدأُ الصور المعدنية مثقوبةً في مضاجعها

كل وجه قبيلته فوقه

كل وشم على معصمين احتفال

ذروة النقص في ذروة الاكتمال

نبيٌّ ولا ملكٌ

أنت عصف المحاريث وحـدك

أَيَّـةُ فاجعةٍ أن تكون المغني وحـدك

في ذروة النقص أو ذروة الاكتمال

ويد الله تسكب إبريقها

عطشا في التضاريس

والأرضُ طاولةٌ تخذت شكلها :

ملك أو كتابة

* * *

ليس ثمة ما يجعل الموت في الفجر

أجمل منه إذا انتصف الليل

موتك كان الولادة . .

هل طيبتك الزيوت العتيقة

حتى تفاوحتَ في حمرة القيظ !

لا ليس ثمة رائحةٌ في زهور القرنفل

ثمة رائحةٌ في نقوش الخلاخيل

والزبد الأصفر المتخثر تحت العباءات

والقبعات المليئة بالدم والنفط . .

في أي برج ولدت ؟

إذن برجك الرمل

كوكب عصر التهافت في الأفق العربي السعيد

* * *

سألوني . .

وها أنا أشهد

أن الزمان عجيب

وأعجبه أن هذي الجموع

تغني وترقص في قفص من حديد !

* * *

وأشهد

أن التراب الذي عجنته الهزيمة

كان جميلا . .

وأضحى قبيحا

وأقبح من لونه في العيون

تألُّقُ تاج المهانة

فوق جباه الرجال العبيد

* * *

الجوارح تنهش لحم السموات جائعة

وغزالة طاغور في العشب تحلم

مَرَّتْ بها منذ حين سحابه

لم تقل أنت يامن رأى

ملك أو كتابة

* * *

ثم يحدث ما يشبه الحلم

تهبط بضع شموس من الأفق

ذاتُ عيون رصاصية ، وأصابعَ باردة

تتقوَّسُ فوق بنادقها . .

وكآلهة في الأساطير . .

تمشي الشموسُ مجنحةً

وببطء ثقيل ترش الرصاصات

عرش الذي قتل الأ رض

إنه يتبوأ كرسيَّه الآن

ريشٌّ الفراعنة الأولين

على منكبيه . . وفي روحه

جسدٌ بالغ الموت

يحسب أن لن يموت

وببطء ثقيل ترش الرصاصات

عرش الذي قتل الأرض

ثم تغوص ، وتنكسر الخطوات عليه

وتخلع مصر براقعها . .

كان في دمها ، وهي حاضَتْ به . .

نسلته غريبا

وأنسلها لعنة

أحضرته من الظلمات . . وغاب

كان حجم جريمته

حجم يوم الحساب !

* * *

الذي قتل الأرض

نفَّضَ نعليه فوق رقاب النبيين

واختار رقدته في الكنيس اليهودي

لكنه لم يكن وحده

كان أنت الخيانة أَوْ أنا

والظل أجنحة الشجر المتكسر

معذرةً يارفيق

إن عصرا تحوم عليه الإدانة

فلنقترع قبل بدء الطريق !

* * *

حائط الغيم يصعد معترضا حائط الغيم

والقوس يبرق في الهضبات البعيدة

والرعد ملءُ الأكف التي أمسكت بالمداميك

ها قد مشى الرمل

فوق الحقول التي زرعتها يداك

هو الرمل يمشي هناك !

أم العمر تطفو عليه شخوص الكوابيس

« عيد السيادة . .

ذكرى اغتصاب فلسطين »

« عيد فلسطين

ذكرى المعاهدة البربرية »

« عيد الصعود

« عيد الهبوط

ويوم الصيام

ويوم الضحية

ومات الرسول

وقام المسيح

وأعشبت العتباتُ السنيهْ

وقال المطارنة الطيبون

وأفتى ابن مالك والشافعية

وهذا انقلاب لأجل القضية

وآخر أيضا ، لنفس القضية

وكأس نبيذ لمجد يهوذا

وكأسان في صحة المجدليه

وعام على إثره ألف عام

وخارطة الدولة العربية

ممرغة في بقايا حطام

قوائمه النظم العنترية

فهاتيك رايتها جاهلية

وتلك عباءتها هاشمية

وأخرى تميل إلى الماركسية

ورابعة تعشق الناصرية

وتنطق باللغـة الفستقية

وتسقط كل رقاع البيادق

منهكة في حروب الكلام

وطار الحمام

وحط الحمام

وفي البال فسقية من رخام

ومَحظيَّةٌ مثل بدر التمام

وعين جلالته لا تنام

ويا قدس مني عليك السلام

* * *

الذي قتل الأرض

مازال يمسخ رؤيا الجموع

ويهطل في مطر الكلمات

يُزَهِّر أفيونُـــهُ في الطقوس

وفي كتب الموت والصلوات

وأرغفة الخبز والملصقات

وطقطوقة الباشوات القدامى

ومعزوفة الباشوات الطغاة

* * *

ويا ليل . . يا عين

يا عين . . ياليل

والليل ينفخ أرغوله في شوارع مكة

ومكة جوهرة الأنبياء

تعلق أوثانها فوق سور البكاء

وتحصد في جوعها النفط والفقراء !

* * *

في أشد الفصول خريفيَّةً

تتفتق أغشيةُ اليرقات الشفيفة

عَنْ أمم طفلة

سوف تحمل مائدة الله فوق سواعدها

وتثبِّتُ أعمدةَ الكوْن . .

* * *

من يحبس الموج كي لا يقلب كفيه

في لؤلؤ البحر !!

من يجذب النار

ملو يَّـةً من ضفائرها !

حجر القبر يرقب ساعتكم

اختبئوا فيه . .

أو خبئوا جِيَفَ العصر

إنِّي أدوس نياشينكم

إن هذي النياشين

فوق صدور مجوفة

قط لم تعرف النصر

إني أدين صحائفكم

طائر الكلمات الجريحة

يقطر في غسق الفجر

أسألكم ياملوك الطوائف

هل أمةٌ في حوانيتكم أم بقايا شعوب

إن أزمنة عانقتها الحضارة

تطمسها ريح أيامكم

إن من يحصد الضوء في الشمس

يحصد ظلمتها في الغروب

خشيتي من رماد هزائمكم

خشيتي من جحيم انتصاراتكم

فالغرابيل مسقوفة أبدا بالثقوب

وليكن قدر الحق

إن انهيار ممالككم وحده

هو شرط انتصار النبي الفدائي

* * *

شجر الأرز يأكل أطفاله فجأة

كانت الشمس تنصب في شجر الأرز

بستانها

وتروح تسيج منعطفات القرى بمغازلها

أنت من أدخل الشمس في ظله

وتسرب عريان في الظل

آخر مالم تقل

أن سربا من الطير يتعب

لكن أعناقه لا تسد السماء على الطير

واخترتَ برقَ الألوهية

اخترت أن لا تكون الغيوم التي اتكأتْ في خيال الحديقة

أو سلة الياسمين

التي خبأتها صغار العصافير

في أرخبيل الغصون

ــ 1 ــ مونولوج صوفي

كُنْ شريكي أهبْك جواهر قلبي

أو كن قتيلي

إن في شفتيك دمي أو رحيلي

— 2 —

وكان اسمه عابد العابدين

وكان اسمك القادر المقتدر

— 3 —

أنت تعرف أنى كثير

وأنك وحدك

وأعرف أنك قبلي

وأني بعدك

— 4 —

الرماد رمادي ، يانهر دجلة

والرأس رأسي ، ياسور بغداد

صرت وحدي في الناس مليون نخله

كلما قطعوني أزداد

— 5 —

كان كأس دمي طافحا

فاستحيت . . وأفرغته

مثل من سبقوني

أتراني جاوزت قدري . .

لأنى قد تَعَمَّدْتُ

فى الهوى بجنوني !

— 6 —

منذ أن مسنى . . ومضى

تاركا كنزه في فمي

خلصَتْ شهوتي

فهي موجٌ يفيء إليه

وأجنحةٌ من صبابه

* * *

لست أعرفني

لم تقل لي من أنت ؟

من أنا يا سيدي ؟

من هو الآخر المتحجر في شفتي ؟

ملك أو كتابه

شفقٌ أو عقيق !

إن من خاننا لم يزل بيننا يارفيق

والادانة ماثلةٌ في التقاطع

فلنقترع قبل بدء الطريق !

بيروت ـ تونس 1982

الفهرست

رقم الإيداع : ٧٣٨٣ / ٩٢
I.S.B.N 977 - 09 - 0108 - 3

مطابع الشروق

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني ـ هاتف ٣٩٢٤٥٧٨ ـ ٣٩٣٤٨١٤

بيروت: ص ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣

